ISSN: 2090 – 0449 Online
UIF Universal Impact Factor, [0.1101].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [0.88].

الدور السياسي والاجتماعي لعلماء الجزائر خلال العهد العثماني (١٥١٨ – ١٨٣٠م)

مخفي مختار
باحث دكتوراه في التاريخ الحديث
أستاذ متعاقد "سابقًا"
جامعة التكوين المتواصل – الجمهورية الجزائرية

مُلَخّصْ

اضطلع علماء الجزائر في العصر الحديث بأدوار مهمّة في الحياة السياسية والعلمية والدينية وشؤون الحياة العامة؛ من خلال المكانة التي تمتّعوا بها عند الحكّام والمحكومين، وتبوّئهم مراتب ومنازل في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافيّة، ودورهم في دعم أركان الدولة ومساندة النّظام، كما تميزت أيضًا بالنّفور من خلال استبعاد وتجاهل بعضهم. إنّ التاريخ السياسي للجزائر خلال العصور الحديثة تجاذبته قوّتان متنافستان، فمن جهة رجال السياسة والذين استمدوا قوتهم من السلاح، ومن جهة ثانية جمهرة العلماء (علماء، مرابطون، شيوخ زوايا) استمدّوا مكانتهم من الشرعية الدينية. شارك علماء الجزائر العثمانية الذين كانوا رجال دين وشريعة، من خلال المراكز الدينية (المساجد والزوايا) والعلمية (المدارس) والاجتماعية (الحرف والمهن)، واضطلعوا بالأدوار الجهادية، والأدوار التشريعية والقضائية باعتبارهم حماة الدين ومصابيح الهدى، ممّا جعل بعض الكتّاب والمؤرخين يصنّفونهم في القسم الثاني من نظم الدولة بعد رجال الحكم والسياسة. دور وأثر العلماء في الأحداث الهامة خاصةً ما يتعلّق بتحرير البلاد واسترجاع وهران من الإسبان، واعتماد الحكام عليهم في دعم حكمهم، ودورهم أيضًا في نهاية الحكم العثماني في الجزائر.

بيانات الدراسة:
تاريخ استلام البحث: ٢٠ يناير ٢٠١٥
تاريخ قبول النشر: ٠٩ مايو ٢٠١٥

كلمات مفتاحية:
العثمانيون، المرابطون، الأولياء، الصوفية، الجمود الفكري، الانكشارية، الثورة الدرقاوية

معرّف الوثيقة الرقمي: DOI 10.12816/0045082

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:
مخفي مختار. "الدور السياسي والاجتماعي لعلماء الجزائر خلال العهد العثماني (١٥١٨ – ١٨٣٠م)".- دورية كان التاريخية.- السنة العاشرة- العدد السابع والثلاثون؛ سبتمبر ٢٠١٧. ص١٦ – ٢٥.

مُقَدِّمَةٌ

إنّ الأحداث التي عرفتها الجزائر العثمانية والتطورات المتلاحقة والمختلفة التي شهدتها البلاد جعلت العلماء يمثلون الرأي العام في الجزائر خلال العهد العثماني، من خلال اهتماماتهم بالحياة السياسة والقضائية، والثقافية والاجتماعية، فكانوا على اتصال مباشر مع الناس رغم مكانتهم العلمية والدينية، من خلال المجالس القضائية وحلقات الدرس وخطب الجمعة، والزوايا، في المساجد والأسواق والمقاهي[1]، ليبيّنوا لأفراد المجتمع موقف الدين من هذه الأحداث، والتحولات والظواهر، والتي ستساهم في بروز إنتاج فكري وثقافي غزير تتعدّد مظاهره وتتنوع مواضيعه، وستضطر العلماء إلى إبداء مواقف من خلال فتاويهم المختلفة سواء كانوا أحنافًا أم مالكيين.

اهتم العلماء بالأحداث التاريخية التي عرفتها البلاد على الأصعدة الثقافية والدينية والسياسية من خلال التأريخ للباشاوات والبايات وسير العلماء، بل امتد هذا الاهتمام إلى ما كان يجري في ساحة العالمية من تغييرات سياسية وفكرية اقتصادية وعسكرية. ومثل العلماء ورجال الزوايا والطرق الرأي العام الجزائري باعتبارهم المرشد الديني والموجه التربوي والجهادي، لذا حظيت هذه النخبة بالتقدير والاحترام في المدن، والتقديس والطاعة العمياء في الريف بسبب نفوذها الروحي والديني. وكان العلماء يؤدون رسالة هامة في المجتمع الجزائري من تعليم الناس بدينهم

بأحكامه وشريعته الصحيحة، وإصلاح ذات البين، وتحقيق العدل والمساواة وإعادة الحق إلى أصحابه من خلال القضاء.

أولاً: الاهتمام بالتدريس

كان التّدريسُ أقلَّ المناصب تنافسا بين العلماء، باعتبارها من الوظائف العامة لهم، وكان تعيين العلماء والمدرّسين في الوظائف التعليمية لا يخضع لإرادة الحكام، وقد ارتبطت بوظائف أخرى كالمفتي والخطيب، كان المفتي يتولى الإمامة والخطابة والتدريس[٢]، في حين لا يمكن للمدرّس أن يكون مفتيًا ولا خطيبًا، تقتصر مهمته على التدريس فقط[٣]. ويمكن أن نصنف نوعين من المدرسين: معلمو المدن ومعلمو الأرياف، والفرق بينهم في التصنيف والدرجة؛ فمن يدرّس الشباب هو أستاذ وشيخ، ومن يدرّس الفتيان هو معلّم أو مدرّس، ومن يدرّس الأطفال فهو مؤدِّب، وهو الذي يتمّ اختياره من قبل سكّان الحي بالمدن، في حين يقوم سكان الريف والدّوّار باختيار مؤدّب الصغار. أمّا في مسألة تعيين المدرس فيتمّ تعيينه من قبل الباشا أو خليفته. أمّا في البايليكات فيتمّ تعيينه من قبل الباي أو حاكم الدار.[٤] أمّا في الريف فيُختار من قبل شيخ القبيلة. كما وجد مَن عرف بالمعلمين الزّائرين وهم الذين لا يتقاضون أجرا، وهذا ما كان يفعله الورتلاني حينما يزور بجاية كلَّ عام خلال شهر رمضان بقوله: «ناويا الرباط، وتعليمي للطلبة راجيًا أن يكون لي حظ وافر منهم ونصيب كامل من عندهم...»[٥]. وهناك كثير من علماء الجزائر العثمانية اشتهروا بالتدريس، وفضلوه على باقي الوظائف، فقد عرف أبو رأس الناصري بطريقة تدريسه، وفصاحة لسانه وإلمامه الواسع بالمواضيع التي يعالجها.[٦] مكرّسًا حياته في التأليف والتدريس لمدة تزيد عن ستّ وثلاثين سنة بلا انقطاع، مع تولي مناصب ومهامّ أخرى منها الفتوى والقضاء والخطابة[٧]. وهذا سعيد المقرّي كرّس حياته في التدريس وخَرّج مجموعة من التلاميذ مثل ابن أخيه "أحمد المقرّي" و"سعيد قدورة". واشتهرت أسرة "سعيد قدورة" وأبناؤه بالتّدريس خاصّة محمّد الّذي عرف بفصاحة لسانه وكثرة علومه[٨]. ويعتبر "عمر بن محمد الكماد القسنطينيّ" المعروف بالوزّان و"أحمد بن عمار" من الذين كرّسوا حياتهم للتدريس ورفض تولّي منصب القضاء والتقرّبَ من الحكّام.[٩] ورغم ضعف الحركة الثقافية وتراجع دور العلم والعلماء، إلا أن حركة التأليف تميزت بكثرتها وديمومتها، بحيث لا نكاد نجد عالما إلا وله مؤلفات كثيرة في شتى العلوم.

ثانيًا: الاهتمام بالتأليف

ورغم ما قيل عن المجال الثقافي عن الجزائر العثمانية، إلا أن حركة التأليف كانت كثيرة ونشيطة، بحيث لا نكاد نجد عالما إلا وله مصنفات عديدة وفي جميع المجالات، ولم تمنع مهام الوظائف الدينية والثقافية التي تولاها العلماء، من وجود حركة التأليف والنّسخ كوسيلة لانتشار الكتب سواء من خلال جهود العلماء أنفسهم أو بتشجيع من بعض الحكام العثمانيين في بعض الفترات، مثل الباي "صالح" والباي "محمد بن عثمان الكبير" الذي شجع الطلبة والكتبة على نسخ الكتب، واختصار ما طال منها، وكان يكافئهم بسخاء[١٠]. ويذكر الشيخ المهدي البوعبدلي، أن الباي قد عين لها مدرسين أكفاء، وعلماء أجلاء، كالشيخ الطاهر بن حواء، والشيخ محمد المصطفى بن زرفة، والشيخ أبو رأس الناصري الذي تولى التدريس بالمدرسة سنتين[١١]، تركوا لنا ثروة أدبية ودينية وتاريخية، وقد اشتهر العديد من العلماء بالتأليف، منهم "أبو رأس الناصري، الذي وقال عنه أبو القاسم سعد الله: "أكثر أبو رأس من التآليف كثرة لا يضاهيه فيها من الجزائريين أحد حسب علمنا باستثناء أحمد البوني الذي تجاوزت تآليفه المائة".[١٢]

ومنهم "أحمد المقرّي" الذي غلب عنده التأليف على التدريس، وهناك من ترك القليل من المؤلفات منهم "محمد التواتي" و"عمر الوزان" و"سعيد قدورة" الذي كانت كتبه عبارة عن دفاتر الصغيرة وعبارة عن شروح وحواشي، و"علي الأنصاري " الّذي كانت تآليفه عبارة عن منظومات وشروح. ويتضح من ذلك تنوع مؤلفات علماء الجزائر العثمانية الذين كتبوا في كل علوم عصرهم، كعلوم القرآن والتفسير والقراءات والحديث والفقه والتوحيد والتصوف والنحو واللغة والبلاغة والعروض والمنطق والأصول والتراجم والأنساب والتاريخ والشعر مع احتوائها على العديد من الطرائف، والنوادر والأخبار والحكايات والاستطرادات المتنوعة

ولم تكن الأحداث التي عرفتها إيالة الجزائر العثمانية غائبة عن مؤلفات العلماء، سواء بإيعاز ذاتي في إطار تخليد وتمجيد البطولات، أو بإيعاز من الحكام، كما حدث في فتح وهران الثاني ١٧٩١/٥١٢٠٦م الذي كان حدثا هامًّا، كلّف الباي محمد الكبير، كاتبه الخاص ابن زرفة الدّحّاوي بتسجيل وقائع الفتح، والتي لخّصها في مؤلفه "الرحلة القمرية في السيرة المحمدية". واشتهر أبو رأس الناصري بتأليف العديد من المؤلّفات معتمدا على النقل والرواية. ويعتبر كتاب "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار"-وهو شرح وترجمة لقصيدة طويلة (١١٨ بيتًا) عنوانها "نفيسة الجمان في فتح ثغر وهران على يد المنصور بالله سيدي محمد بن عثمان" والتي وضعها وهو عائدٌ من الحج وبلغته الأخبار وهو (بجربة) التونسية، واحتوى على جزئين- يعتبر (أي عجائب الأسفار) مصدرًا أساسيًا فيما تعلّق بتأسيس المدن وأنساب القبائل ومراحل فتح وهران وبإنجازات محمّد الكبير.[١٣]

كما تحركت عواطف علماء آخرين، فكتبوا يؤرخون للحدث، ومنهم الفقيه "أحمد بن محمد بن علي ابن سحنون" صاحب "الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني"، وهو عبارة عن أرجوزة في فتح وهران الثاني، يدور محورها حول الإشادة بفاتحها "محمد الكبير" لكنها احتوت على أحداث تاريخية من مصادر مختلفة، سجّل روايات معاصريه مما جعله مؤرخًا وكاتبًا، ناقلاً للأحداث ملتزمًا الصدق والحقيقة. فالكتاب يعتبر مصدرًا حول حياة محمد الكبير وإنجازاته وحياةِ الحكام الذين سبقوه- مع تركيزه على

جهودهم في استرجاع وهران- ومن المصادر الأساسية عن الحياة الثقافية والاجتماعية لبايلك الغرب، مع ذكر تاريخ وهران ومدينة الجزائر.[١٤]

عرف محمد بن هطال بمصنفه "رحلة الباي محمد الكبير إلى الجنوب الصحراوي الذي خَلَّد وقائع رحلة الباي على الجنوب الغربي وإخضاعها والحدّ من نفوذ الطريقة التيجانية، وإن كان تسجيل الكثير من الأحداث خلال الحملة أكسبها طابع الرحلة من خلال وصف سير المحلة باليوم والساعة، وتقييد الأماكن والآبار والعيون، وما تحصّل عليه الباي من غنائم وجباية الضرائب، دون أن يهمل علاقة الرعية بسلطة البايليك، بل قدم انتقادًا لسياسة الحكام والجنود ضد السكان في جمع الضرائب.[١٥] بعد انعزال ابن ميمون عن المناصب الدينية بسبب الحاسدين من علماء المعاصرين له لجأ إلى التأليف، واشتهر بمؤلّفه الذي عنونه "التحفة المرضية في الدولة البكداشية"، الذي ألفه في سيرة الداي "محمد بكداش" تقديرًا ومحبة له ورغبة في التقرب إليه، مشيدًا بخصال ومحاسن بكداش، وإرجاع نسبه إلى النّسب الشريف وغير ذلك من عبارات التعظيم والثناء المبالغ فيهما، إضافة إلى احتواء تحفة ابن ميمون على مجموعة من المقامات ذات عناوين مستقلة، والتي تحتوي معلومات تاريخية ذات أهمية عن أوضاع إيالة الجزائر مع مطلع القرن الثامن عشر أبرزها فتح وهران الأول.

هناك بعض تأليف التي ساعدت على رسم الأوضاع الاقتصادية والسياسية والثقافية التي عرفتها الجزائر العثمانية خلال الحكم العثماني، وهناك مؤلفات عبارة عن تراجم لشخصيات سياسية وعلمائية مثل مؤلف "البستان" لابن مريم، و"منشور الهداية" لابن الفكون. فكتاب منشور الهداية للفكون يضمّ معلومات هامّة تتصل بالحياة الثقافية والاجتماعية وبالحياة السياسية خلال القرنيين العاشر والحادي عشر الهجري الموافق السادس والسابع عشر لميلادي، إذ نستطيع أن نقف على ما كتبه في هديته عن الواقع الثقافي والحياة الدينية، من أخبار الكتاتيب والزوايا، ونشاط العلماء ومراسلاتهم، وطرق التدريس، والخناق الذي فرضته السلطة على العلماء كما ضمّنه مجموعة من التراجم بلغت خمسة وسبعين شخصية قسنطينية من العلماء، إلا أنّ الهدف من كتابه كان هدفًا إصلاحيّ.[١٦]

ويعتبر الحسين بن محمد الورتلاني (١١٢٥هـ/١٧١٣م) نموذجًا لهؤلاء العلماء، يذكر في رحلته التي انتهى من إملائها ١١٦٢ه تحت عنوان "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"، تعتبر الرحلة من المصادر الأساسية التي لا يمكن الاستغناء عنها في التعرف على أوضاع البلدان منه الجزائر في القرن الثاني عشر الهجري الموافق للقرن الثامن عشر، سجل الوضع الاقتصادي والاجتماعي، ونقل صورة صادقة عن الوضع الثقافي، خاصة ترجمة للعديد من الأولياء والصالحين والأشراف فيذكرهم بالوقار والعلم والصلاح ويذكر كراماتهم[١٧]، وإن كان قد سبقه الصباغ وابن مريم والبطيوي [١٨].

وفي الصدد نفسه يأتي أبي سالم عبد الله بن محمد العياشي (١٠٣٧-١٠٩٠هـ)، الذي ترك العديد من التصانيف منها في التصوف بعنوان "تنبيه ذوي لهمم العالية على الزهد في الدنيا والآخرة"، و"تحفة الأخلاء بأسانيد الأجلاء" وعبارة عن فهرسة لشيوخه، وهي تشبه كتاب "فتح الإله منته" لأبي رأس الناصري، غير أن رحلته المعلونة "بماء الموائد" أو الرحلة العياشية، من أبرز مصنفاته، والتي وصف فيها طريق الحج المغربي المعروف بطريق الصحراء الشمالية، عرضا الأوضاع الاقتصادية (الزراعة والصناعة) والاجتماعية (دراسة للمجتمعات من العادات، والتقاليد، والعمران، والأوضاع الصحية) للمناطق التي مر بها، إضافة إلى المعلومات عن الأحداث الجغرافية والتاريخية والأماكن والمعارك، والأبرز من ذلك تعتبر تعبيرًا صادقًا عن الأوضاع الثقافية للعصر، بالحديث عن العلماء والفقهاء والأولياء والدراويش والزوايا والطرق الصوفية، والمكتابات للقرن الحادي عشر الهجري السابع عشرا لميلادي والإجازات.[١٩]

وفي إطار أدب الرحلة والتاريخ دائما، يأتي مصنف "لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال" والمعروف لعبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري، والتي جاءت في شكل مذكرة شخصية لما عايشه وشاهده من أحداث لفترة أربع سنوات (١١٥٦-١١٦١هـ/١٧٤٣-١٧٤٨م) من حياته، احتوت أخبار عن الجزائر والمغرب دون المشرق عكس الرحالات الأخرى، تزخر على معلومات تاريخية واجتماعية وثقافية، تميل إلى دقة الوصف والصدق والموضوعية، يذكر الأماكن، والمعاملات عقودها وأحكامها، الأسعار والنقود، المواسم والأعياد، علاقة العلماء ببعضهم البعض ومجالسهم، الإجازات والشهادات، كما ترك ابن حمادوش مصنفًا في علم النبات والتداوي بالأعشاب المعروف "بكشف الرموز في بيان الأعشاب"، وينسب إليه رسالة صغيرة في وظائف واضطرابات الجهاز التناسلي تحت عنوان" تعديل المزاج بسبب قوانين العلاج"[٢٠].

وكذلك مؤلف "أنيس الغريب والمسافر في الطرائف والنوادر" لمسلم بن عبد القادر، حول الأحداث التي عرفها بايليك الغرب وأبرز باياته بداية من محمد الكبير نهاية بحسن بن موسى، مع إبداء رأيه في تصرفاته اتجاه العلماء والرعية؛ وله عدة تصانيف منها شرح في المفردات اللغوية "نظم الجواهر في سلك هل البصائر" والذي شرحه أبو رأس الناصري بطلب من صاحبه، فوضع له عنوان مختصر بعنوان" أسماع الأصم وشفا السقم في الأمثال والحكم".[٢١] أما العطار، فقد ابدى منذ صغره ولوعا بالتاريخ والأخبار، فقد ترك عدة مؤلفات أبرزها "تاريخ قسنطينة" وإن كان المؤلف عرف بعناوين عديدة منها كتاب الأخبار المبيتة لاستيلاء الترك على قسنطينة" أو "الأخبار في تاريخ قسنطينة، وفريدة منيسة في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلاءهم على أوطانها، ومهم يكن يعتبر الكتاب من أوائل الكتب التي عالجت تاريخ قسنطينة بتفصيل وذكر أحداث لم يذكرها غيره، من تاريخ

أخر بايات قسنطينة، أما مؤلفه "سنين القحط والمسبغة، تعرض فيه للأوضاع الاقتصادية وسنين القحط والغلاء.

وهناك مؤلفات تحدثت عن ثورات الشعبية مثل مؤلف: "درأ الشقاوة عن السادات درقاوة" للمشرفي، "درأ الشقاوة في حروب درقاوة" لأبي رأس، ومجاعات قسنطينة، وتاريخ قسنطينة للعنتري. وعرف إسماعيل بن عودة بن الحاج المزاري البحثاوي، بكتابه "طلوع سعد السعود" الذي وضعه عن تاريخ وهران، وبایاتها ومخزنها، وعلماءها وأولياءها، واستيلاء الأسبان عليها ومحولة الأتراك استرجاعها، وتطرق إلى ثورة الدرقاوية والتيجانية، سياسة البايات ضد العلماء والسكان في أواخر الحكم العثماني.

ثالثًا: الاهتمام بالسياسة

عرفت فترة الحكم العثماني بالجزائر أحداثًا تاريخية كثيرة منها أحداث داخلية، وإقليمية، ودولية، لم يكن العلماء والمرابطون بعيدين عنها بحكم معاصرتهم ومعايشتهم لها، فخَصَّصُوا لها حيزًا من كتابتهم ومؤلفاتهم، مما يدل على اهتمامهم بأوضاع البلاد والعالم، وأوضاع المسلمين خاصة، وأوضاع غير المسلمين عامة. لقد اهتم علماء الجزائر العثمانية بالأحداث والتطورات الداخلية والخارجية، اهتم ابن سحنون بأخبار الثورة الفرنسية، وكتب أبو رأس الناصري في أثر الحملة الفرنسية على مصر، وعن الحركة الوهابية، وكتب ابن العنابي عن إصلاح الجند ودعا إلى أخذ بالنظم الغربية.

رغم الشروط التي وضعها حكام الجزائر العثمانية للعلماء والمرابطين في القضايا السياسية، وهي عدم تدخلهم في شؤون السياسة والحكم، وحصر دورهم السياسي في تأييد السلطة[٢٢]، مع فسح المجال الثقافي لهم في تولي المؤسسات الدينية والثقافية.[٢٣] منذ البداية رسم باشاوات الجزائر العثمانية علاقتهم بالعلماء ووضعوا الخطوط الحمراء على أنه رجل الحرب والسياسة، وأن العلماء هم رجال العلم والقلم لا يجوز لهم التدخل في أمور الحرب والسياسة وإن تجاوزوا ذلك لاحقتهم لعنته وسخطه.[٢٤]

كان للعلماء دور سلبي في الحياة السياسية وشؤون الحكم، إذ لم يكن لهم دور في انتخاب أو اختيار أو تنصيب حاكم الجزائر وباقي مجلس أعضاء حكومة الداي، واقتصر دورهم في حضور اجتماعات الديوان بمناسبة مراسيم تعيين الحاكم الجديد، إذ كان للأوجاق الدور الفعال في اختياره وتنصيبه وتحديد مصيره، من خلال العزل أو الاغتيال، في حين كان العلماء والمرابطين ينتظرون انقشاع الضباب والرؤيا بعد ثورة الأجواق على الباشا بقبول الأمر الواقع بتقديم التبريكات والبيعة والولاء، تجنبا لغضب الباشا أو الداي.[٢٥]

١/٣- انتقاد الأوضاع الثقافية والدينية:

ظهر علماء نجباء رفضوا الوضع القائم وحاولوا تحطيم أغلال الجمود والتقليد، فهذا "يحي الشاوي" كان كثير الانتقاد لأهل عصره من العلماء بسبب جمودهم وتقليدهم ورفضهم لكل جديد، أما الشيخ "محمد البوزيدي" حين انتصب للتدريس بجامع القصبة في قسنطينة في علم التوحيد، قال «إن المقلد غير مؤمن وأن العامة مختلف في إيمانها»[٢٦]. إذا كان الكثير من العلماء مجدوا الأولياء وذكروا كراماتهم وكتبوا أقوالهم وأفعالهم من خلال مؤلفاتهم مثل ابن مريم في بستانيته، والآغا المزاري في طلع سعد السعود، في المقابل انتقد آخرون تماما، منهم الشيخ "عبد الكريم الفكون" الذي اتخذ من مؤلفه "منشور الهداية "سيفًا مشهرًا على أهل من ادعى الولاية والعلم من أهل الزندقة والبدع الدجالين بوجه خاص، وجاء انقلابًا على الأوضاع السائدة التي أصبح فيها الجهلة والمشعوذين أدعياء للعلم، والعلماء أصبحوا في الدرجات الدنيا، وبذلك يقول: "كل ذلك والقلب مني يتقطع غيرة على حزب الله العلماء أن ينتسب جماعة الجهلة المعاندين الضالين المضللين لهم، أن يذكروا في معرضهم، وغيرة على جانب السادة الأولياء الصوفية أن تكون أراذل العامة، وأنذال الحمقى المغرورين أن يتسموا بأسمائهم"[٢٧].

لقد كان بعض أدعياء العلم والولاية من الدجالين الكذّابين والمبتدعة الضالين المضلّين يعملون ليل نهار للاستيلاء على أرزاق الناس بمختلف الحيّل، ويذكر الفكون في هذا الصدد أحد هؤلاء، قاسم بن أم هانئ: «... أن هذا الرجل كان في ابتداء أمره ذا سمت حسن بأن جانب جبايا زواياهم يؤدون لهم الأعشار والزّكوات، فكان ذلك الرجل مباعدا لأمورهم مشغولاً عنهم بجعله لنفسه خلوة في أماكن يعدها ويواظب على الصلوات وعلى الصوم، تناول طعام الشّعير ولبس الغرارة والمرقعّة حتى أمال القلوب إليه وأصغى الأذان نحوه، وسببّ ذلك أن رعاياهم امتدت إليها أيدي اللّصوص فلم يبق لها بينهم حرم وصاروا يأخذونهم حيث ما وجدوهم إلا أن يجعلوا غرامة عليهم للصوص وذلك بعد موت جده، وشق العصا بجبال قرب نقاوس، وخرجت إليه عساكر قواد قسنطينة، وافتّضح أمره وهرب إلى بعض نواحيها، سقطوا في أعين الخاص والعام، وصارت الأعّين ترقبهم بما فعل والده»[٢٨].

لكننا نجده أيضًا لم يخرج عن روح العصر الصوفي الذي طغى على ثقافة المجتمع بعلمائها، فقد خصص فصلا من الكتاب لمن عرفه من العلماء والصالحين الذين تأثر بهم، ومن ذكر أحوالهم وصفاتهم ومناقبهم وفي مقدمتهم "عمر الوزان" (ت. ٦٩٥هـ) الذي وصفه بعدة أوصاف منها قوله: "شيخ الزمان" ومنها "العالم العارف بالله الرباني" ومنها "وله في طريق القوم اليد الطولى" ومنها "ويقال إنه دعوة الشيخ الصالح القطب الغوث أبي العباس أحمد زروق" ومنها "، ثم يذكر عددًا من كرامتهم[٢٩] وللإشارة فهو لا ينكر أحوالهم وصفاتهم بل يشيد بها؛ الأمر الذي جعله يتناقض مع أطروحاته وأفكاره، وهناك فصل خصصه لمن صب عليهم غضبه فنعتهم بكل أوصاف الجهل الهرطقة، وجعلهم من المغضوب عليهم[٣٠]، وطائفة حظيت باحترام وتقدير، جعل منهم من رضي الله عنهم[٣١]، فهو ينكر عن الأولى من الأوصاف والمناقب بينما لا

يجد حرج في نعتها ووصفها بالثانية، يقول في هذا الصدد مثلما يذكر "كرامات الأولياء مما يجب الإيمان بها، ورؤية الملائكة جائزة"[٣٢]، ولكنه بالمقابل يعيب على الشيخ محمد ساسي البوني أنه صار في "بلد بونة" "رئيس الباطن والظاهر" ووصفه " وينكر عليه أنه "ادعى مقام الأكابر من الأولياء" ثم يذكر أنه كان شاعرًا، قد ملأ شعره بعبارات "الحانِ والدنانِ" و"يزعم أنه شرب من كأس الصفوة" وأنه "جلس على بساط القرب" وأنه "عرج به إلى السماء وكشف له عن أحوال الملكوت"[٣٣]، وكل هذه وغيرها مما يتهم به الفكون، الشيخ البوني، ويعتبر ذلك من البدع!

ورغم محاولته اتخاذ العقل والحزم في التعامل مع الأمور الغيب، وإنكار ومحاربة من ادعى الكرامات والخوارق والشطحات الصوفية، فإنه لا ينكرها على من يأتي بها أو يرويها عن نفسه وغيره، إذا "كان بالمثابة المثلى من طريق أتباع السنة والمعرفة بالله والحق أبلج والباطل لجلج"[٣٤]، إلا أنه يبدو أنه أخفق في كل ما له علاقة بالتصوف والولاية والكرامة، لكنه أنكر كل من مدعي لها أو ليس أهلا لها. إن الصوفية الذين قصدهم الفكون، هم المتصوفين الحقيقيين حيث خصهم بفصل في تأليفه «منشور الهداية» وليس المتصوفين الدجالين الخارجين عن ملة الدين وثوابت المجتمع حيث سماهم بأدعياء الولاية.

٢/٣- مبعوثين ومفاوضين ووسطاء:

لم يقتصر دور العلماء والمرابطين على الوساطة في الأمور الداخلية، بل تجاوزت مهامهم الحدود الخارجية، كمبعوثين وسفراء وسياسيين في وقت السلم والحرب[٣٥]، خاصةً بين تونس والمغرب الأقصى حيث الصراعات دائمة بينهما، فكان للعلماء دور كبير في عملية الصلح بين الطرفين.

كان أول السفراء "محمد بن علي الخروبي الطرابلسي" إلى المغرب الأقصى، ومن أشهر السفارات التي قام بها العلماء، كسفراء ومبعوثين للسلطة، العلامة "محمد بن محمود العنابي "٣٦، الذي كان عالمًا وفقيهًا ودبلوماسيًا ناجحًا[٣٧]، حين فوض من قبل الداي "عمر باشا" (١٢٣١-١٢٣٣هـ/١٨١٥-١٨١٧م) سفيرًا في المغرب الأقصى على إثر حملة (EX-MAOTH) إكس موث (١٢٣٢هـ/١٨١٦م) طالبًا العون العسكري من السلطان المغربي "مولاي سليمان" لتجديد جيشه وأسطوله، وقد أورد الزهار في مذكرته: «أن الباشا كتب إلى السلطان كتابا بعثه مع السيد الحاج محمد بن العنابي قاضي سادة الحنفية رسولاً»[٣٨] وقد نجح في ذلك سفارته؛ ولنفس السبب أرسله الداي في سفارة إلى استانبول (١٢٣٣هـ/١٨١٧م).[٣٩]

من أشهر العلماء الذين تولوا السفارة إلى جانب ابن العنابي، "ابن هطال التلمساني" الذي تولى مناصب سياسية كثيرة في بايليك الغرب أيام الباي "محمد الكبير" حيث كان مستشاره وكاتبه الخاص، ومبعوثا له، وسفيرا له في المهمات الصعبة، عندما بعثه الباي رفقة "ابن سحنون" خلال استعداد لفتح وهران[٤٠]، محملا بالهدايا للسلطان المغربي من أجل السماح له بشراء الأسلحة من بريطانيا، وتوجها إلى مضيق جبل طارق حيث وجدا مائتي قنطار من البارود اشتراها الباي[٤١]. وفي هذا الإطار يقول ابن سحنون الراشيدي: «ثم وجه لملك المغرب هدية من قاضي محلته، وكاتبه وهو الأديب الماهر سيدنا أحمد بن هطال».[٤٢]

كما كان هذا الصلح يتم بمباركة المرابطين، ففي (١١٠٤هـ/ ١٦٩٢م) عهد الداي "شعبان" أرسل جيشا لمواجهة جيش السلطان المغربي "مولاي اسماعيل" عندما وصل مدينة فاس، مما دفع السلطان المغربي لطلب الأمان والعفو، وأرسل ابنه "عبد الملك لإبرام الصلح الذي استقبل في الجزائر من قبل المرابطين قبل أن يتوجه إلى الديوان ولما تم الصلح باركه المرابطون[٤٣]. أما مع تونس فكان الصلح يتم بواسطة العلماء في كثير من الأحوال، فلما أراد الداي"علي باشا" (١٢٢٤-١٢٣٢هـ/ ١٨٠٩-١٨١٦م) عقد الصلح مع تونس أرسل وفدا من بينهم الشيخ "علي بن النقير" الذين وُفِقُوا في مهمتم[٤٤]، ولعب مرابطوا "بني ناصر" دورًا في استقرار العلاقات بين قسنطينة وتونس [٤٥].

رابعًا: الدعوة إلى إصلاح الجيش

كما عالج ابن العنابي قضية جوهرية وهي تعلم العلوم من الكفرة وما موقف شريعة الإسلامية من ذلك، وأن القضية أخذت جدالا بين علماء العالم الإسلامي عامة والجزائر خاصة، ما حكم تعلم المسلم علوما من غير المسلمين؟ من خلال كتابه "السعي المحمود"، تطرق ابن العنابي إلى هذه المسألة، مستدلا بوقائع من التاريخ الإسلامي ومن السيرة النبوية المطهرة خوصا، ففي غزوة بدر، أسر رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين فردا من قريش، فبدأ بأخذ الفدية منهم على قدر أموالهم، واشترط رسول الله- صلى الله عليه وسلم- على من لا يملك أموالا لفديته، بأن يقوم بتعليم عشرة غلمان، لقاء حريته، بحكم أن أهل مكة يتقنون الكتابة عكس أهل المدينة، كما روى زيد بن ثابت، أن رسول الله (ﷺ) طلب منه تعلم اللغة السريانية لقراءة الرسائل الواردة منهم، فتعلمها في سبعة عشر يومًا.[٤٦]

وانطلاقًا من هذه الوقائع التاريخية رأى ابن العنابي ضرورة تعلم الفرد المسلم لما يجهله ولو من أفراد أو جماعات يناقضونه عقيدة وفكرًا، فيقول في ذلك: «فإنه إذا جاز تعلم الكتابة منهم التي يتوسل بمعرفتها إلى كتابة كلام الله تعالى، وتلاوته وحفظه، فالأولى غيرها كالأمور الحربية التي نحن في بيان الاحتياج، لجواز تعلمها منهم، مع قيام الضرورة إلى ذلك، ودلت الأخبار الباقية على جواز تعلم ما اختص به الكفرة من معارفهم، إذا توقف عليها أمر ديني ... وعن هذا ومثله عد جمع من مشايخنا الحساب والطب في جملة العلوم المفروضة على سبيل الكفاية، مع أنهما من علوم كفار الفلاسفة»[٤٧].

لم يكتف العالم ابن العنابي بإظهار أخطار المشروع الأوروبي الاستعماري، بل بين الطرق لمواجهة هذا المشروع، حيث دعا إلى التقرب من الأوروبيين دون استثناء ونادى بتقليد الأوروبيين في مبتكراتهم وصنائعهم وأسلحتهم وفنونهم العسكرية، «علم الخطب

في تعريف نظامهم...فدعت ضرورة الحال على استعلام ذلك من قبلهم، والتدرب على ما ألفوا من صنائعهم وحيلهم...»(٤٨)، بل دعا إلى فكرة التجديد رافضا الانغلاق مؤكدًا ذلك بقوله: «إذا ابتدعوا من أدوات الحرب وصنائعه أمرا له موقع لا نؤمن من استطالتهم به علينا، لزمنا بذل الوسع في تعلمه وإعداده لهم والاجتهاد في مجاوزتهم فيه»[٤٩]. ويظهر أن ابن العنابي كان يحمل هموم الأمة الإسلامية ومتخوفا على مصيرها في ظل المشروع الاستعماري الأوروبي التوسعي، ورغم موقفه العدائي منهم «خيب الله آمالهم! وأكذب ظنونهم! وأبطل أعمالهم!»[٥٠]، وهذا الحرص وضع له تأليف سماه "السعي المحمود في نظام الجنود"، ومنطلقا ومؤتمرا بأمر الله تعالى على إعداد العد لمواجهة أعداء الإسلام في قوله تعالى ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾.[٥١]

إضافة إلى ظهور محمد ابن العنابي كعالم متفتح يريد الإصلاح لأمته من بعث روح النهضة في المجتمع الذي بدأ الانحطاط ينخر من جسمه لا بد عليه من تجديد نفسه ومسح غبار التخلف والأخذ بالنهضة من خلال التوفيق بين الأصالة والمعاصرة، وإن كان سابقه في هذا سبيل المفتي المالكي أحمد بن عمار، فقد نادى بحرية الرأي، وتوظيف الإنسان لقدراته العقلية، وعدم الاكتراث من مخالفة السلف من الأوائل، من خلال الابتعاد عن التقليد بل انتهاج منطق التجديد[٥٢].

خامسًا: الموقف من الثورة الدرقاوية

لقد أحدثت الثورة الدرقاوية اختلافًا في المواقف ووجهات النظر بين العلماء والمرابطين، على غرار سياسة الاستطفافات، بين مؤيد للثورة يحسبون ضد السلطة، وجانب رافض وناقم على الثورة يقف في صف السلطة، ومنهم موقف الشيخ "أبي رأس" من الثورة الدرقاوة (1217هـ/١٨٠٢م)، الذي كان مواليًا للأتراك العثمانيين ومعاديًا ناقمًا على ثورة الدرقاوة التي اعتبرها فئة باغية ظالمة أفسدت في الأرض ولم تراع حرمة ولا مقدسات، وخصها بمؤلف" درأ الشقاوة في حروب درقاوة" وعلى أنها ساهمت في حركة الجمود الفكري والركود الثقافي، قال عنها في سيرته فتح الإله ومنته: «وقد خبطتنا فتنة لم نكن فيها أتقياء بررة، ولا أقوياء فجرة، مع ما داهمنا من الطاعون، الذي تهرب منه الواعون، فاتصلت علينا أواصر النكبات، والبليات، من الخوف والورع، الذي في الفؤاد مودع»[٥٣].

رغم أنه كان من ضحاياها إذ أتهم من قبل خصومه بالوقوف إلى جانبها مما أضطره إلى الهروب؛ يشاطره في ذلك كل من الزياني محمد ابن يوسف ، ومسلم بن عبد القادر، ومحمد الصالح العنتري، وابن فكون الذي وقف مع السلطة العثمانية ضد ثورة ابن الأحرش، وقفت جماعة من العلماء إلى جانب الثورة الدرقاوية وأيدها منهم العربي المشرفي الذي اعتبرها ثورة ضد الظلم والسياسة التي مارسها العثمانيين ضد العلماء والسكان، ويظهر ذلك في ما ورد في كتابه "الذخيرة" حين قال: «وفي حدود العشرين من قرننا هذا، ثار عليهم درقاوة أهل النظافة والنقاوة» كما خصها بتأليف مهم سماه: "درأ الشقاوة عن السادات درقاوة"[٥٤]، والمؤلفين المذكورين يبن مدى تباين في مواقف بين العلماء من السلطة والثورة، إضافة إلى الزبوشي وابن بركات.

سادسًا: الاهتمام بالجهاد العسكري

كان العلماء في مقدمة من وقف خطر الاحتلال الاسباني، وعلى الخصوص المرابطين، خاصة بعد الِتفَاتِ الأهالي حولهم باعتبارهم السلطة القوية والقادرة على حمايتهم والدفاع عنهم، أمام فشل السلطة السياسية آنذاك. فالزوايا والطرق الصوفية كانت قادرة على إثارة الحماس وتجنيد الأتباع وتنظيم المقاومة، باسم الجهاد في سبيل الله ضد التواجد الاسباني.[٥٥] كان العلماء والمرابطون "الحزب الديني" المنادي بالجهاد باستمرار[٥٦]، فالحملات المسيحية المتكررة على السواحل الجزائرية، جعلت العلماء وعلى الدوام يقومون بدورٍ رئيسي في مواجهة الاحتلال الصليبي ورد العدوان الخارجي من خلال تجنيد السكان المحليين وحثّهم على حمل السلاح، أو من خلال أعمال التعبئة التي تتطلبها الحروب والمواجهات العسكرية عبر الفتاوى التي تدعو إلى جهاد الكفار الصليبيين وتحرير الأرض المغتصبة. ولم تقتصر دعوة العلماء على الجهاد والحث عليه بقصائدهم، بل هناك علماء شاركوا بأنفسهم أومن خلال أتباعهم أو مريديهم في الدفاع عن البلاد[٥٧] وعلى أن يكونوا في الصفوف الأمامية أفردًا أو جماعات، مع تذكير الحكام وتشجيعهم على الجهاد، وهذا من خلال شعر "الاستصراخ".

وهذا ما ساعد على ظهور العلماء المجاهدين، فلم تقتصر أعمالهم على العبادة والزهد فقط، ولكنها تعدت ذلك إلى الجهاد في سبيل الله، ومنهم من اختار الرباط للظفر بالشهادة، باعتباره الطريق الأسرع والمضمون إلى الجنة، فقد ورد عن المدني أن "أبا عبد الله محمد الموفق التلمساني" كان أكثر الناس حرصًا على الظفر بالشهادة[٥٨]، ونجد هذه الازدواجية متمثلة في وجود مصلى بجانب الرباط تقابله حجرات صغيرة بغير نوافذ يرابط فيها الجنود الصوفية.[٥٩]

رغّب علماء الجزائر العثمانية في إقامة الرباطات والمشاركة فيها، واستدلّوا على ذلك بالآيات القرآنية والأحاديث النّبوية: قال الله تعالى ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون﴾[٦٠]، وقال مصطفى صلى الله عليه وسلم: «رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه»[٦١]. وقال أيضًا: «كل ميّت يختم على عمله إلا المرابط، فإنه ينمو عمله إلى يوم القيامة، ويؤمن من فتان القبر».[٦٢] الأمر الذي ساعد على ظهور الرباطات والتي يعرفها الدكتور بلبروات على: «أن الرباط عبارة عن بيوتات الاعتكاف والعبادة، وتعليم الشريعة والشيوخ والطلبة يتعلمون

فيه،... وإذا كان الرباط على الثغور، فإن أهم أهداف الطلبة المرابطين هو التسلح الروحي لمجاهدة العدو، والرباط لا يخضع لأي طريقة بعينها إلا أنه متفتح في كثير من الأحوال على التعاليم الصوفية»[٦٣]، وقد اشتهرت إيالة الجزائر بالرباطات وأشهرها رباط وهران بالخصوص من اجل تضييق الخناق على العدو الأسباني. شارك في هذا الرباط عدة علماء منهم طاهر بن حواء، ومحمد المصطفى بن زرفة، ومحمد بن علي بن الشارف المازوني ووالده، حيث كانوا يدرسون ويحاربون[٦٤]، في حين كان الطلبة جنودا وعلماء في آن واحد[٦٥].

يبين الصوفي "عبد بن المبارك "الفرق بين الصوفي العابد والصوفي المرابط:

يَا عَابِدَ الحَرَمَين لَوْ أَبْصَرْتَنَا
لَعَلِمتَ أَنَكَ فِي العِبادَةِ تَلْعَبُ فَنُحُورُنَا بِدِمَائِنَا تَتَخَضَّبُ
أَو كَانَ يَتْعَبُ خَيْلَهُ فِي بَاطِلٍ فَخُيُولُنَا يَوْمَ الصَبِيحَةِ تَتْعَبُ
رِيحِ العَبِيرِ لَكُم نَحْنُ عَبِيرُنَا رَهْجُ السَنَابِك وَالغُبَار الأَطْيَبُ
وَلَقَد أَتَانَا مِن مَقَالِ نَبِيُّنَا قَوْلٌ صَحِيحٌ صَادِقٌ لاَ يَكْذِبُ
لاَ يَسْتَوِي غُبَارَ خَيْلِ اللَهِ فِي أَنفِ امْرِئٍ وَدُخَانَ نَارٍ تَلْهَبُ
هَذَا كِتَابُ اللَهِ يَنْطِقُ بَيْنَنَا لَيْسَ الشَهِيدُ بِمَيِتٍ لاَ يَكْذَبُ
الرِبَاطُ لِلتَعَبُّدِ وَالجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَه[٦٦]

وفي رباط وهران تجلّت روح المقاومة والفداء في صفوف الطلبة والعلماء من مختلف مدارس المنطقة وزواياها المنتشرة نواحي غريس"[٦٧]. وكان من أكبر العلماء المحرضين على الجهاد الشاعر ابن عبد الله محمد الملقب "ابن آقوجيل" الذي خاطب "الداي أحمد باشا"(١٦٩٥-١٦٩٨م) وحثّه على استئناف الجهاد والقتال جاء فيها:

وَلْتَفِتِ نَحْوَى الجِهَادِ بِقُوَةٍ وَالكُفرَ اقْطَعِ أَصْلَهُ بِذُكُور
جَهِز جُيُوشًا كَالأُسُودِ وَسَرِحْنَ تِلْكَ الجَوَارِي فِي عُبَابِ بُحُورٍ
أَضْرِم عَلَى الكُفَارِ نَارَ الحَرْبِ لاَ تَقْلَع وَلاَ تَمْهِلْهُم بِفُتُورٍ
وَيِقُرْبِنَا وَهْرَانَ ضَرسٌ مُؤْلِمٌ سَهْلُ اقْتِلاَعٍ فِي اغْتِنَاءٍ يَسِيرِ
كَم قَد أَذَت مِن مُسْلِمِينَ وَمَا سَبَتْ مِنْهُم بِقَهْرٍ أَسَرَةٌ وَأَسِيرٌ
فَانْهَض بِعَزْمِكَ نَحوَهَا مُسْتَنْصِرًا بِاللَهِ فِي جِدٍ وَفِي تَشْمِيرٍ
بِعَسَاكِرٍ مِثْلَ السُيُولِ تَزَاحَمَت لِلسَبْقِ تَحتَ لِوائِكَ المَنْصُورِ
أَو كَالسَحَابِ بِرُوقِهِ وَرُعُودِهِ نَارَ المَكَاحِلِ أَوقَدَت بِزَفِيرٍ
بَادِرِ بِنَا نَغْزُو العَدُوَ وَسارِعْن فِي حَسْمِ شَوْكَتُهُم وَفِي التَدْبِيرِ
وَأْمُر جُيُوشَكَ بِالْتِهَابٍ لِلْعِدَا وَالحَزمِ حَرِضِ عَزمَهُم بِنَفِيرٍ
اقْصِد بِلاَدَ الكُفْرِ شَتِت شَمْلَهَا خَرِبِ بِهَا مَا كَانَ مِن مَعْمُورٍ
اقْتُلْهُم قِتَالاً ذَرِيعًا وَاتْرُكْنَ أَشْلاَءَهُم مَرْعَى لِطَعَمِ نُسُورِ[٦٨]

فهذا محمد آقوجيل يحرض العثمانيين على إنقاذ وهران:

فَمَا لِبَنِي عُثْمَانَ فِي سُنَةِ الوَنَا وَوَهْرَانَ تَزْهُو نَحْوَهُ بِالمَرَاغِمِ
وَيَا مَعْشَرَ الأَتْرَاكِ مَا بَالِ سَعْيَكُم أَشْرَطَهَا هَذِهِ العَلاَئِمُ[٦٩]

وهذا الشاعر أبو العباس أحمد أبي عبد الله يستصرخ لإنقاذ وهران:

يَا مَعْشَرَ الأَتْرَاكِ أَيَا كُلِ عَالِمٍ وَكُلَّ وَلِي حَافِظِ الأَوَامِرِ[٧٠]

وهذا "ابن سحنون" له أبيات في هذا الأمر:

فَكَيفَ بَأَرْضِ الشِرْكِ وَهِيَ مَنَازِلُ بَدَا حُسْنُهَا عَن سَاكِينِهَا وَشُومَها
فَلاَ تَرهَبُوا مَنْ مَانِعَاتِ حُصُونِهَا فَفِي عَزْمِهَا مَا تُقَاوِمُ رُومَهَا[٧١]

وكذلك العلامة سيدي "محمد عبد المؤمن" يستصرخ الداي "حسن الشريف باشا" على تحرير وهران" الأول:

نَادَتْكَ وَهْرَانُ فَلَبِ نِدَاهَا أَنْزِلْ بِهَا لا تَقْصِدَنَ سَوَاهَا
وَأَحْلُلْ بِهَاتِيكَ الأَبَاطِيحَ وَالرُبَى واستصرخ بِدَفِينِهَا الأَوَّاها
واستدع طَائِفَةَ العَسَاكِرْ نَحْوَهَا يَغْزُونَهَا وَلْيَنْزِلُوا بِفِنَاهَا
مُسْتَصْحِبِينَ لِوَاءَكَ المَنْصورْ إِذْ يَلْقَاهُمْ الفَتْحُ المُبِينُ وَجَاهَا
صَرَحَتْ بِدَعْوَتِكَ العَلِيَةُ فَإِسْتَجِبْ لِنِدَائِهَا وَلْتَكْمِلَنْ مُنَاهَا
حَاشَاكَ أَنْ تَفْنَى حَشَاشَتَهَا وَقَدْ قَصُرَتْ عَلَيْكَ رَجَاهَا وَنِدَاءَهَا
قَدْ طَالَمَا عَبَثَتْ بِهَا أَيْدِي العِدَا حَتَى استباحوا أَرْضَهَا وَحَمَاهَا
وَتَصَرَفُوا فِي المُسْلِمِينَ فَأَصْبَحَتِ أُعْجُوبَةً لِمَن اغْتَدَى يَرعَاهَا
أَضْحَى الصَلِيبُ مُؤَيَدًا، وَالدِينُ قَدْ دُرِسَت مَعَالِمُهُ فَلَسْتَ تَرَاهَا
جَعَلُوا بِهَا النَاقُوس فِي أَوْقَاتِهِم بَدَلَ الأَذَانِ وَغَيَرُوا مَعْنَاهَا
كَمْ مَن أَسِيرٍ حَوْلَهَا لاَ يُفْتَدَى كَمْ مِنْ فَقِيرٍ حَلَّ فِي مَثْوَاهَا
وادْعُ الغُزَاةَ لِفَتْحِهَا مُسْتَنْجِدًا وَانْهَضْ إِلَيْهَا وَانْزِلَنْ مَرْسَاهَا[٧٢]

ولم تقتصر العملية على التحريض على الجهاد ورفع الهمم، بل امتدت إلى مشاركة العلماء في العملية الجهادية، تصدر العلماء جيش الطلبة، وكانوا يتقدمون الصفوف ويوجهون المعارك، شارك العلامة المالكي عبد القادر بن عبد الله المشرفي في الهجوم على وهران سنة (١١٢٠هـ/ ١٧٠٨م).(٧٣) فأستشهد منهم الكثير يتقدمهم القاضي "الطاهر بن حواء" في أول ليلة من جمادي الأولى (١٢٠٦هـ/١٧٩١م) «... فقدت بفقده محاسن الأخلاق، وعدم معه الحياء من أمثاله على الإطلاق، وذهب الوفاء والإنصاف، ولم يبق أحد مثله مصاف، وبكته العيون الجامدة، والقرائح الخامدة رحمه الله واسكنه فسيح جنانه».[٧٤] كما شرك "أحمد بن سحنون الراشدي"، إلى جانب الباي "مصطفى بن يوسف بوشلاغم" في الهجوم على وهران أثناء عملية تحريرها الأولى عام (١١٢٠هـ/ ١٧٠٨م)، وسجل كل خطوات الفتح بأحداثها ووقائعها ودونها في كتابه «الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني»،[٧٥] ومما قاله في الجهاد، سنورد أبياتا شعرية له:

أَلاَ تَذْكُرُوا أَمْرَ الجِهَادِ فَإِنَهُ بِهِ مَلَةُ المُخْتَارِ صَحَ سَقِيمُهَا
مَتَى تَرَكَهُ المُسْلِمُونَ تَهَاوُنًا بِهِ كَثُرَتْ أَحْزَانُهَا وَهُمُومُهَا
وَمَن مَاتَ فِي تِلْكَ المَوَاطِنِ مِنْكُم فَجَنَةُ عَدْنٍ دَارُهُ أَوْ نَعِيمُهَا
بِهَذَا أَمِينَ اللَهَ نَبَه عَزْمَهُ لِوَهْرَانَ كَيْ تَنكَى عَلَيْهَا كُلُومًا[٧٦]

إن وقوف الشيخ والولي الصالح سيدي "لخضر الأكحل بن خلوف" مداح النبي إلى جانب العثمانيين في مقاومة الأسبان

خلال حملتهم الثالثة الكبيرة على مستغانم حين حاول الكونت دالكادوت" (*Conte Dalcadote*) اغتنام فرصة الاضطرابات التي عرفتها الجزائر وانهزام حسن باشا في المغرب الأقصى في رجب (٩٦٥هـ/ أفريل١٥٥٧م)[٧٧]، فشن حملة كبيرة على مستغانم والوقوف إلى جانب الباشا "حسن باشا" وخاصة في معركة مزغران ٩٦٥هـ في المواقف الأمامية للمعركة والتي قال فيها:

يَا سَيْلِنِي عَنْ طَرْدْ الرُومْ   قَصَّةَ مَازْغْرَانْ مَعْلُومَةْ

بينما القصيدة تعبير عن إشادة واعتراف ضمني بالعثمانيين ودورهم الجهادي في تحرير الأرض من الإسبان لذا اعتبر معركة مزغران ثأرا للأندلس(٧٨). ولدورهم طلائعي في مواجهة الإسبان خلال أشرك الباي محمد الكبير العلماء في حربه ضد الإسبان وجعلهم في طليعة قواته، وتشجيعهم على الرباط على الثغور في الرباطات حول وهران يجهدون ويدرسون، لزيادة الخناق والحصار على العدو.[٧٩] إلى جانب السيف والقلم في مواجهة العدو الخارجي، كان للعلماء جبهة ثالثة وهي مواجهة القبائل المتعاملة مع النصارى المسيحيين في وصفهم بالزنادقة، وضرورة التّبرء منهم ومن أعمالهم مستندين في فتواهم إلى قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ والنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِنْكُم فَإِنَّهُ مِنهُم[قلى] إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[٨٠]، وقوله تعالى ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.[٨١]

تبلورت فكرة المقاومة التي قادها العلماء ورجال الصوفية في الجزائر من خلال "اللعن والدعوة بالشر" على كل المتعاونين مع الصليبيين الأسبان، كقبائل بني عامر سواء تعلق الأمر بجلب الأخبار لهم، أو مدهم بما يحتاجونه من تبن، وحشيش، ولبن، وخيل، مثلما فعل الشيخ العالم الصوفي سيدي "أحمد الحلفاوي" والعالم "عبد القادر المشرفي" ضد أعراب قبائل قيزة، الونازرة، وأولاد علي، من خلال فتواه «أخزاهم الله ولعنهم وأخلى الأرض منهم وصيرهم حطبا لجهنم»[٨٢]. وإلى جانب الدعوة بالشر واللعن للمتعاونين مع الصليبيين، لجأ العلماء إلى النصح والمعايرة والحط من قيمة المتعاملين مع الإسبان في سبيل النهي عن هذه الأعمال الآثمة، وكذلك فعل العلامة أبي عثمان سيدي "سعيد قدورة" من خلال قصيدته الموجهة لقبيلة بني عامر.

فَمَن مُبَلّغ عَنِي قَبَائِلَ عَامِرٍ   وَلاَ سِيَمَا مَن قَدْ ثَوَى تَحْتَ كَافِرِ
أَنَاشِدُكُم بِاللهِ مَا عَذَر كُلُكُم   لَدَى اللهِ فِي وَهْرَانَ أَمْرِ الخَنَازِيرِ
أَذَلَكَم اللَّهُ كَيفَ رَضَيْتُم بَسَبْيِي   العَذَارَى مَن بَنَاتَ الأَكَابِرِ
فَصِرتُم مِن جُورِ البُغَاةَ كَأَنَكُم يَهُودُ الجَزَائِرِ تَعْطُونَهَا فِي الأَصَاغِرِ[83]

ولم تقتصر مهمة العلماء إلى التصدي للهجمات الصليبية، بل كان لهم دور في الوعظ ونشر الإسلام بين المسيحيين الأسرى الذين تمكّنت البحرية الجزائرية من أسرهم خلال الجهاد البحري، حيث كان يتم توزيعهم على العائلات الإسلامية انتظارا لفديتهم، وكان الكثير من هؤلاء الأسرى يعتنق الإسلام بفضل دور العلماء ورجال الصوفية، إما بتحريرهم، أو اقتناعهم بمبادئ الإسلام وحسن معاملة المسلمين لهم[٨٤]، وقد عرفوا بالمرتدين في الدول الأوروبية، مع العلم أن الكثير من حكام الجزائر العثمانية كانوا من الأعلاج الذين أسلموا مثل: ميزوموتو، ومراد رايس.

أما في بايليك الغرب الذي كان معقل المرّابطة ضد الإسبان قبل تحرير وهران، فكانت القبائل والعائلات المرابطية في مقدمة الرباطات تحمل لواء الجهاد والتحرير، مثل عائلة "أو العربي" التي رعت لواء الجهاد والنصر[٨٥]، من خلال تجنيدها للسكان للجهاد وتحويل زواياها إلى مراكز للمجاهدين والإطعام والتدريب، وبعد نهاية تحرير ثاني لوهران وعودتهم إلى نشاطهم التعليمي والإصلاحي لم تنقطع صلتهم بالسكان بل تعزز نشاطهم بسبب تحولهم إلى قوة فكرية ومالية وعسكرية. يبدو أن الجهاد والمرابطة لم يكن يمثل فقط مشروعًا دينيًا، ومشروعًا تحريريًا بل أيضًا كان يحمل قيمًا إنسانية من خلال حسن التعامل مع الأسرى المسيحيين وترغيبهم في اعتناق الإسلام مع العمل على تحرير الأسرى المسلمين من قيود العبودية والرق.

خَاتِمَةٌ

يمكن أن نخرج الآن بمجموعة من الاستنتاجات:

إن ظهور العلماء في الجزائر العثمانية كطبقة مميزة لدى الحاكم والمحكوم، لم يكن حالة استثنائية لما تمتع به العلماء من حظوة ومكانة في العالم الإسلامي في ظل الفراغ الثقافي للسلطة المركزية. وقد ساهمت الأوضاع السياسية منذ القرن التاسع الهجري الموافق للقرن الخامس عشر ميلادي في ظهور حركة التصوف والمتصوفين وانتشار الزوايا والطرق الصوفية التي توسعت بشكل مفاجئ خلال القرن العاشر الهجري وقادت المقاومة ضد الغزو الإيبري من خلال الزوايا بالريف وتحولت إلى رباطات يشرف عليها المرابطون الذين كانوا في الصفوف الأمامية للمقاومة، يُلهِبُون حماس الناس والطلبة إلى الجهاد في سبيل الله، بل ويتحالفون مع العثمانيين من أجل ذلك.

واضطلعت جمهرة العلماء بمهام وأعمال مهما اختلف فيها المؤرخون والباحثون، إلا أنها كانت موجودة من إنجازاتها الثقافية والأدبية والجهادية. ومن الصعب أن يتم تحديد عدد العلماء في نيابة الجزائر، وتحديد نوع ثقافتهم، وذكر وظائفهم لأن العلماء لا وطن لهم من حيث المبدأ والعالم الإسلامي رقعة واحدة مما عرف حركة وهجرة واسعة للعلماء من وإلى الجزائر.

إن تكوين العلماء الثقافي دينيًا صوفيًا، يعتمد على ما تركه السابقون من متون وعلوم نقلية، عمل بها حتى العلماء العاملين

والفقهاء، حيث عطلوا العقل وقلدوا الأولين، وهو تكوين وثقافة عرفت بالانحطاط الثقافي والجمود الفكري الذي ميز العالم الإسلامي وليس الجزائر وحدها، إضافة إلى مساهمة الحكام العثمانيين في هذا الوضع إذ كانوا بعيدين كل البعد عن الثقافة، حيث ساعدت سياستهم على هذا الانحطاط، بسبب غياب مشروع ثقافي حقيقي لهم. ومع ذلك كله برزت نخبة من العلماء التي تجاوزت مكانتها ساحة المحلية بل امتدت إلى العالم الإسلامي من خلال إسهاماتها الدينية والأدبية والثقافية والتاريخية، رغم ظروف العصر معتمدة على مجهودها الفردي وتكريس حياتها للعلم والاجتهاد.

لقد اتخذ الجهاد في الجزائر العثمانية مشروع دينيا مقدسا، بتزعم العلماء له من خلال دعوتهم وقيادتهم له، مما جعله يحتل أولوية واهتمام المجتمع بكل شرائحه، حاكمًا ومحكومًا، الأمر الذي ساعد على استعادة وتحرير كل الأراضي المحتلة والمغتصبة.

عرفت إيالة الجزائر فترة هدوء واستقرار في مراحلها الأولى بفضل اعتمادها على العلماء والمرابطين في توطيد العلاقة مع السكان، إلا أن هذا التحالف سرعان ما طرأ عليه تغيرات حالت دون استمرار هذه العلاقة بين الحكام والعلماء، مع اتساع الهوة بين الجانبين، سنحاول التطرق إليها بالتفصيل في الفصل الثالث من خلال التطرق إلى عوامل التقارب بين الطرفين، ومظاهره وأشكاله، ونتائج هذا التقارب. ثم نُعرج على عوامل القطيعة بين الحكام والعلماء خاصة في الريف، ومظاهر القطيعة ونتائجها على السلطة والعلماء.

الهَوامِشُ

(١) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (١٦-٢٠م)**، ط٢، مؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٥، الجزء الأول، ص٣٢٦، ٣٢٧.

(٢) المرجع نفسه، ص٣٨٥.

(٣) المرجع نفسه، ص٤٠٣.

(٤) المرجع نفسه، ص ٣٢٥، ٣٢٦.

(٥) حسين بن أحمد الورتلاني، **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار "الرحلة الورتلانية"**، تصحيح ونشر: محمد بن شنب، مطبعة بيير فونتانا الشرقي، الجزائر، ١٩٥٨م، ص١٨.

(٦) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص٣٦٣- ٣٨٦.

(٧) أبو رأس الناصري محمد، **عجائب الأسفار ولطائف الأخبار**، تقديم وتحقيق: محمد غالم، مركز الوطني للبحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، ٢٠٠٥، ص٢١- ٢٢.

(٨) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص ٣٧٦، ٣٧٧ و٣٨٥.

(٩) عبد الكريم الفكون، **منشور الهداية في حال من أدعى العلم والولاية**، ط١، تقديم وتحقيق وتعليق: أبو القاسم أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٧، ص٤٤.

(١٠) ابن سحنون الراشيدي، **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**، تحقيق وتقديم: البوعبدلي المهدي، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مطبعة البعث، قسنطينة، ١٩٧٣م، ص١٤٦. - ابن هطال أحمد التلمساني، **رحلة الباي محمد الكبير إلى الجنوب الصحراوي**، تحقيق: محمد بن عبد الكريم، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 1969، ص٢٦.

(١١) المهدي بوعبدلي، **"المراكز الثقافية وخزائن الكتب بالجزائر عبر التاريخ"**، مجلة الأصالة، عدد ١١، الجزائر سنة ١٩٧٢، ص٩٤.

(١٢) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص٣٩٤.

(١٣) ناصر الدين سعيدوني، **من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي**، دار الطبع الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠١، ص٤٦٢-٤٦٤.

(١٤) المرجع نفسه، ص٤٣٩-٤٤٢- للمزيد من الاطلاع انظر: ابن سحنون الرشيدي، المصدر السابق.

(١٥) انظر: ابن هطال التلمساني، المصدر السابق.- بن عتو بلبروات، الباي محمد الكبير ومشروعه الحضاري ١٧٧٩-١٧٩٧)، رسالة ماجستير، جامعة وهران، ٢٠٠٢.

(١٦) العياشي محمد بن عبد الله، **الرحلة العياشية ١٦٦١-١٦٦٣م**، ط١، تحقيق وتقديم: سعيد الفضلي وسليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٦، ج١، ص١٣، ١٤. - ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص٣٥٤، ٣٥٥.

(١٧) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص٤٨٥، ٤٨٤.

(١٨) المرجع نفسه، ص٤٨٢، ٤٨٣.

(١٩) ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص ٣٧٦-٣٧٩.

(٢٠) المرجع نفسه، ٤٣٢-٤٤٣.

(٢١) المرجع نفسه، ص٤٧٠، ٤٧١.

(٢٢) كورين شوفاليه، **الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر (١٥١٠ – ١٥٤١)**، ترجمة: جمال حمادنة، د.م.ج، الجزائر، ٢٠٠٧، ص٨٦.

(23) Pierre Boyer, "Contribution à l'étude de la politique religieuse des Turcs dans la régenced' Alger 16éme-19éme siècle" in R.O.M.M, n°1, 1966, P.28.

(٢٤) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص٤١٦، ٤١٧.

(٢٥) المرجع نفسه، ص٣٩٥.

(٢٦) المرجع نفسه، ص ٤٥٨.

(٢٧) الفكون، المصدر السابق، ص٣٢.

(٢٨) المصدر نفسه، ص١١٨.

(٢٩) المصدر نفسه، ص٣٥-٣٧.

(٣٠) المصدر نفسه، ص١١٧.

(٣١) المصدر نفسه، ص٣٥.

(٣٢) المصدر نفسه، ص١٤٦.

(٣٣) المصدر نفسه، ص١٦٤-١٦٥.

(٣٤) المصدر نفسه، ص١٤٧.

(35) Kamel Fillali, "Sainteté maraboutique et mysticisme, contribution à l'étude du movement maraboutique en Algérie sous la domination ottomane" in Insanyyat n°3, 1997, p127.

(٣٦) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص٤٠٤.

(٣٧) أبو القاسم سعد الله، "**المفتي الجزائري المصري العنابي وكتابه سعي المحمود في نظام الجنود**"، مجلة الأصالة، العدد ٣١، ١٩٧٦، ص٢٣.

(٣٨) الشريف الزهار الحاج أحمد، **مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار** - نقيب أشراف-، تحقيق وتقديم: أحمد توفيق المدني، ط٢، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨٠، ص١٢٧.- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج١، المرجع السابق، ص٤٠٥.

(٣٩) أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص٤٠٥. وراجع أيضًا:

Tachrifat, Recueil de notes historique sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger, publié par Devoulx. A, imprimerie du gouvernement, Alger, 1852, P.78.

(٤٠) أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ط٣، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، الجزء الأول، ص٣٥٨.

(٤١) المرجع نفسه، ج٣، ص ١٩٨.

(٤٢) ابن سحنون الراشيدي، المصدر السابق، ص٢٧٤.- ابن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص١٥، ١٦.

(43) Kamel Fillali, Op.cit, P.127.

(٤٤) الزهار، المصدر السابق، ص١٣٨.

(45) Leila Babes, Saints-Tribus et pouvoir politique dans le constantinois sous la domination turque, université d'Oran, S.D, P.18.

(٤٦) محمد بن محمود ابن العنابي، **السعي المحمود في نظام الجنود**، تحقيق محمد بن عبد الكريم، م.و.ك، الجزائر، ١٩٨٣، ص١٩٥.

(٤٧) المصدر نفسه، ص١٩٦، ١٩٧.

(٤٨) المصدر نفسه، ص٦٤.

(٤٩) المصدر نفسه، ص٢٠٣.

(٥٠) المصدر نفسه، ص٤٩.

(٥١) القرآن الكريم، **سورة الأنفال**، الآية ٦٠، برواية حفص.

(٥٢) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج١، المرجع السابق، ص٤٦٠.

(٥٣) أبو راس الناصري، المصدر السابق، ص٢٤.

(٥٤) العربي المشرفي، **الذخيرة**، مخطوط بمكتبة بلدية معسكر، ص١٧.

(٥٥) ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص٣٨. وراجع أيضًا:

Boyer, Contribution religieuse, Op.cit, Pp.36, 37.

(٥٦) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص٢٠.

(٥٧) بسام العسلي، **الجزائر والحملات الصليبية ١٥٤٧-١٧٩١**، ط٣، دار النفائس، بيروت، ١٩٨٦، ص٩.

(٥٨) أحمد توفيق المدني، **حرب ثالثة مائة سنة بين الجزائر(١٤٩٢-١٧٩٢)**، ط٣، م.و.ك، الجزائر، ١٩٨٤، ص٤٥٨.

(٥٩) عبد المنعم الحفني، المرجع السابق، ص٧٦٠.

(٦٠) القرآن الكريم، **سورة آل عمران**، الآية ٢٠٠، برواية حفص.

(٦١) **اختصار صحيح البخاري**، نسخ وضبط وتعليق أحمد فارس السلوم، تقديم عبد الوهاب ابن عبد العزيز الزيد، دار التوحيد ودار أهل السنة، الرياض، ١٤٢٩ه، ج٣، ص١.

(٦٢) سليمان الأزدي أبي داود، **سنن أبي داود**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، الجزء الثالث، ص٩.

(٦٣) بن عتو بلبروات، **الباي محمد الكبير ومشروعه الحضاري ١٧٧٩-١٧٩٧)**، رسالة ماجستير، جامعة وهران، ٢٠٠٢، ص٣٢٨-٣٢٩.

(٦٤) ابن سحنون الرشيدي، المصدر السابق، ص٢٣٣.- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص٢٧٢.

(٦٥) أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص٢٧٢.

(٦٦) المرجع نفسه، ص٢٧٢.

(٦٧) عدة بن داهة، "**النزعة الجهادية لطلبة العلم وحملة القرآن الكريم في منطقة معسكر خلال العهد العثماني**"، مجلة المواقف، العدد (٣)، جامعة معسكر، ٢٠٠٨، ص٨٧.

(٦٨) ابن ميمون الجزائري، **التحفة المرضية والدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، تقديم وتحقيق: محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨١، ص٢٠٥.- جمال قنان، **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر (١٥٠٠ – ١٨٣٠م)**، مؤسسة الوطنية للطبع، الجزائر، ١٩٨٧، ص١٥٧. توفيق المدني، المرجع السابق، ص٤٣٨.

(٦٩) القصيدة كاملة، توفيق المدني، المرجع نفسه، ص٤٣٨.

(٧٠) عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص٣٤.- القصيدة كاملة، توفيق المدني، المرجع السابق، ص٤٤٢.

(٧١) الرشيدي ابن سحنون، المصدر السابق، ص١٦٢.

(٧٢) ابن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص٣٠١.- توفيق المدني، المرجع نفسه، ص٤٣٩، ٤٤٠.

(٧٣) يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص٢٣١.

(٧٤) ابن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص٢٣، ص٧.

(٧٥) يحي بوعزيز، **أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة**، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٥، ج٢، ص٢٤٨.

(٧٦) الرشيدي ابن سحنون، المصدر السابق، ١٦٢، ١٦٣.

(٧٧) عمار بلخروف، **العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر لهجري/ السادس عشر الميلادي**، دار الأمل، الجزائر، ٢٠٠٦، ج١، ص١٠٣.

(٧٨) الرشيدي ابن سحنون، المصدر السابق، ص٢٣-٢٧. - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص١٩٧.

(٧٩) أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص٢٠٣.

(٨٠) القرآن الكريم، **سورة المائدة**، الآية ٥١، رواية حفص.

(٨١) القرآن الكريم، **سورة المجادلة**، الآية ٢٢، رواية حفص.

(٨٢) عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص٣٦.

(٨٣) ابن سحنون الرشيد، المصدر السابق، ص٢٤١.

(٨٤) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص٤٥٤.

(85) Kamel Fillali, Op.Cit, P.133.